بسم الله الرحمن الرحيم

هل جلد شارب الخمر أفضل أم حبسه ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله (وبعـــد)

فاذا كان دستورنا فى مصر ينص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيس للتشريع ، فان المفهوم أن هـــذا الأمر ليس لنـــا فيه اختيار ، لأن التشريع تنزيل من الله ، وهو ملزم لنا جميعا سواء رضينا أو أبينا •• وعلى هـــذا فليس من حـــق المجالس النيابية أن تضـــع تشريعات وضعية فى أمور وردت فيها نصوص واضحة فى كتـــاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل يتعين عليها أن تكون تشريعاتها مستمدة من الشريعة الاسلامية ، والقول بخلاف ذلك يعـــد تحديا لشريعة الله ، وتعطيلا لدستور البلاد •

وكل غيور على دينه فى انتظار التطبيق العملى لهـــذا النص من الدستور ، لكى يمضى الى كل قوانيننا فيضعها على الطريق المستقيم•• وذلك فى كل مجالات الحياة عقيدة وسلوكا ، حتى يتغير شكل المجتمع الى الصورة الأفضل دينا ودنيا •

أما تعطيل هذا النص بعدم افراغ هذه المبادىء السمحةللشريعة الاسلامية فى نصوص محددة يلتزم القضاة بالحكم بمقتضاها •• فان ذلك يؤدى الى الخلط بين التزام القضاء بتطبيق القانون الوضعى وبين الحكم ــ اجتهادا من القاضى ــ بما يراه مطابقا للشريعة الاسلامية • وخير مثال على ذلك ما نشر أخيرا عن أحد القضاة بمحاكم الجنح :

١ — نشرت جريدة الأهرام أن هذا القاضى أصدر حكمه على شاب بالحبس ستة أشهر لضبطه متلبسا فى حالة سكر فى الطريق العام وعلق فى حكمه قائلا « ان الشريعة الاسلامية حرمت الخمر تحريما قاطعا لأنها مضيعة للنفس والعقـــل والصحة والمـــال ، ووضعت التحريم موضع التنفيذ ، الا أن بعض الدول الاسلامية تطبق القوانين الوضعية وتعطل أحكام الشريعة الاسلامية ، فأصبحت الخمر مباحة لشاربيها ولا عقاب على شربها الا اذا وجد شاربها فى حالة سكر بين فى الطريق العام » .

٢ — واذا كان القاضى قد أصدر حكمه هذا بالحبس ستة أشهر فقد نشرت مجلة اللواء الاسلامى عن هـــذا القاضى نفسه أنه أصدر حكما بتطبيق حد شارب الخمر على شاب ضبط يسير فى الشارع وهو سكران ، فأمر بجلده ثمانين جلدة طبقا للشريعة الاسلامية وقال فى حيثيات حكمه ان الشريعة الاسلامية هى قانون الدولة الاسلامية ، والنظام الدستورى فى مصر فى هيكله العـــام نظام اسلامى ، وان حدود الله لابد أن يعمل بها فى أرض مصر طبقا لما نص عليه الدستور .. ومن ثم أصدر حكمه بالجلد .

* * *

وبالطبع فان خروج القاضى عن القانون الوضعى لهذه الأسباب التى استند اليها لم يعجب بعض رجال القانون ... فقام رئيس احدى محاكم الاستئناف بالكتابة حول هذه القضية فى جريدة الأخبار حيث ذكر أن القاضى أخطأ حين قضى بالجلد لأنه مال الى معتقده الدينى « فجعـــل من أسباب الحكم مجـــالا للتعبير عن المعتقدات الدينية أو السياسية فى حين أن الأحكام وأسبابها لم تعـــد لذلك .. ولـــو كان القانون يسمح بذلك المسلك لأدى الأمر الى فوضى ، فهذا يحكم بالجلد لمعتقده ، وذاك يحكم بغيره طبقا لمعتقده » .

وأقول ان المسألة هنا ليست مسألة المعتقدات الدينية أو السياسية التى يسمح لكل قاض بالحكم على أساس ما يعتقده منها ــ كما يزعم ــ ولكن المسألة هى الالتزام بشرع الله أولا وآخرا .. فأين هى الفوضى التى يلوح بها ..؟

ثم أمر آخر فيه مغالطة .. يقول رئيس محكمة الاستئناف « ان هذا الحكم ينم عن أن كاتبه أو قائله ــ ان صح ما قيل ــ لم يعرف شيئا عن علم العقاب ، فهذه الجريمة من الجائز الحكم فيها بالحبس ستة أشهر ، فمن ذا الذى لا يقبل ثمانين جلدة ويقبل أن يحبس ستة أشهر ؟ » ثم يقول « المشرع الوضعى شدد العقوبة حماية للمجتمع ، فلماذا لم يقض ان أراد التشديد بأقصى العقوبة ؟ » .

وأقول ردا على ذلك ان المشرع الوضعى اذا ظن أن عقوبة الجلد لا تحقق حماية المجتمع ويحققها الحبس مهما طالت مدته فقد وهم .. فان الاسلام فى تشريعاته قصد حماية المجتمع فوضع الحدود التى تكفل هذه الحماية .. وليست العبرة أبدا بتشديد العقوبة .. فقد تضمنت تشريعات المخدرات أقصى العقوبات حتى وصلت الى الاعدام، ورغم ذلك فاننا نقرأ كل يوم عن محاولات جلب أطنان المخدرات الى داخــل البلاد ونقرأ عن قضايا حيازة وتناول المخدرات ، حتى أعلن المسئولون عن ترويد حى (الباطنية) ــ المشهور بتجارة المخدرات ــ بأجهزة التصوير التليفزيونى حتى يمكن تصوير كل المترددين على هذا الحى من تجار هذه السموم .

اذن فالعبرة ليست بتشــديد العقوبة .. ولكن بحكمة التشريع الالهى ..

ولو عقدنا مقارنة يسيرة بين عقوبة جلد شــارب الخمر وعقوبة الحبس أو السجن لوجدنا عقوبة الجلد هى الأصلح للمجتمع :

عقوبة الجلد عقوبة فورية التنفيذ .. وان ألحقت بالجانى ألما وقتيا شديدا الا أنها تظل عالقة بذاكرته ونفسه بما يردعه عن العودة

الى جريمته مرة أخرى أو حتى مجرد التفكير فيها • فضلا عن أنه يخلى سبيله فينصرف الى السعى على رزقه ورزق من يعول ، فهى عقوبة لا تمس مصدر رزقه الذى يتعلق به حق أسرته •

أما عقوبة الحبس أو السجن فتحوطها ظروف معينة :

ـ تكبد الدولة نفقات طائلة لاعداد السجون والصرف على المحبوسين من مأكل وملبس وحراسة ••• الخ •

ـ تعطيل هذه الأيدى العاملة فترة العقوبة مما قد يترتب عليه نقص الانتاج •

ـ انقطاع الدخل المادى لأسرة الجانى وغياب رب الأسرة عنهم قد يترتب عليه انحراف أفراد الأسرة نحو الجريمة •

ـ لا يخفى ما تزخر به السجون من ألوان الفساد الخلقى •

ـ سريان عدوى الاجرام ، فالسجون تجمع بين المجرم الضليع فى اجرامه وبين المجرم العادى الذى قد يخرج من السجن وقد ازداد خبرة وحنكة •

ـ خريجو السجون كثيرا ما يعيشون عالة على مجتمعاتهم حيث يستغلون ماضيهم فى ارهاب الناس وابتزاز أموالهم •

* * *

وأعود فأقول : ان كل الحدود التى وردت فى الاسلام سواء فى كتاب الله عز وجل أو فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقق الحماية الكاملة للمجتمع ••• وشتان بين حكم الخالق وحكم المخلوق•• فاذا ما أردنا لمجتمعنا الخير والصلاح فما علينا الا أن ننفذ ما أجمعت عليه الأمة ونص عليه دستورها من العودة الى شرع الله نصبغ به حياتنا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته أخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون • ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » •

* * *

حذو مثل الآيات يجمل بنا أن نقف فنطيل الوقوف ، نصعد خلالها البصر ، وننعم بمشهد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا •

وسرعان ما نندحر حين تمنع ظلمة الواقع مد البصر ، فنرتطم بالحاضر المر الذى يجثم غصة على الصدور كما تجثم الجلطة فى الأوعية الدموية • حينئذ ينقلب اليك البصر خاسئا حسيرا يتعثر فى أشلاء أولئك الذين خلفوا من بعد • وعدنا — فى غير وعى — نومهم بقول الله : —

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا ، الا من تاب وآمن ، وعمل صالحا •• » مريم •

وتنداح دوائر الشجون ، وتتداعى المعانى فتسرح النفس فى خربات أولئك الذين ذكروا (بضم الذال وكسر الكاف المشـــددة) فنسوا وبدلوا ، وعتوا فسيموا سوء العذاب ، وغاصوا فى أوحـــال الأدنى وتقطعوا فى الأرض أمما .

وصحنا ــ فى غير وعى ــ ما أشبه الليلة بالبارحة ، وعدنا نتمتم بقرآن : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا (١) قردة خاسئين، واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم ، وقطعناهم فى الأرض أمما ، منهم الصالحون ، ومنهـــم دون ذلك وبلوناهم بالحســـنات ، والسيئات لعلهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون (٢) عرض هذا الأدنى ويقولون (٣) سيغفر لنا ، وان يأتهم عرض مثله (٤) يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقـــولوا على الله الا الحق ، ودرسوا ما فيه .. » الاعراف ١٦٦ ــ ١٦٩ .

نعم يجمل هنا أن نقف فنطيل الوقوف . فالقرآن ــ كما علمنا ــ لا يجذ عطاؤه ، ولا تنفذ معانيه ، وأنت اذ تنظر فيه بعين زمانـــك ، ووعى عصرك ، وحس مشاكلك ، تنتثل منه وتنتثل ، وتكتشف الجديد، وتظفر بالخرائد الفرائد التى تأسو علل الزمان ، وتشـــخص أدواء الجيـــل .

ولا نزاع فى أن من شر العلل التى تجتاح المسلمين علة الشقاق والشتات . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالله من شتات الأمر ووسوسة الصدر استعاذته به سبحانه من عذاب القبر

---

(١) وقيت هذه الأمة ذل المسخ المـــادى ، اما المسخ المعنوى الذى يلحق الصفات ويشوه الخلال ، وينال من الجلال فهو قائم يتهدد من غفل وحرف وبدل .

(٢) استغراق فى المتع ، وكلف بالصغائر ، وتمرس بالصغار .

(٣) استغراق فى أحلام كاذبة .

(٤) نهم لا يشبع ، وغرام بالرشا والمكاسب الخبيثة .

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر » وشتات الأمر — فيما أحسب — هو الفردية التى تفك عقال الفؤاد كى يجمح وراء الأهواء ، فيتشتت ، ويتبع الشعب كلها ، ويمسى شعبا ، بكل واد شعبة مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

نداء التوحيد

والمؤمن سداه ، ولحمته التوحيد • وكل المعانى الاسلامية الأخرى تجود ، وتزهو فى حمى التوحيد بين السدى واللحمة •

والمؤمنون فى كنف التوحيد متلاقون تجمعهم وحدة الولاية ووحدة الغاية ووحدة الوسيلة • وبعضهم — فى ظل ولاية الله — أولياء بعض، يتلاقون بلا تدابر ، ويتعاونون بلا تخاذل ويتناصرون فلا تناحر « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » التوبة ٧١ • هكذا بواو الجمع فى كل شئونهم ليظل دأبهم التجمع وهمهم المجتمع•

والوجود الصحى للمؤمن لا يكمل الا فى اطار الجماعة • فلا فردية اذ الله وحده هو الفرد الصمد • واذا انفرد المسلم بنفسه ، وانفك عن أمته أوشك معين الايمان فيه أن ينضب ، ويغيض ، ولذا كان من دعاء النبيين « رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين » •

واذا شط وبعد اختطف ، وانتهب « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية » •

ولشدة ارتباط الوحدة بالتوحيد اختلفت رؤية نبيين كريمين الى مرتبتهما :

هارون عليه السلام رأى أن قضية الوحدة حرية بالمراعاة ، وأن التصدع يفضى الى انكشاف وشتات • وان من شت شذ ، ومن شذ

شذ فى النار • ولذلك خشى أن يكون — من حيث لا يحتسب — معول تفريق ، وآثر التريث والتأنى فى شأن أولئك الذين كفروا واتخذوا العجل •

وموسى عليه السلام رأى أن الأساس التوحيد فاذا اندك كله، أو بعضه تصدعت سائر الدعائم وانهار البنيان • ولذلك غلى ، واشتد وقذف بالزبد ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه منكرا عليه ألا يكون حاسما حازما فى قضية حيوية كقضية التوحيد ، وأن يقف موقف الرجاء الهين اللين حيال المرتدين « قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى ، أفعصيت أمرى (١) • قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى، ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى » طه ٩١ •

والحق أن التوحيد حبل الله الذى ينتظم المؤمنين جميعا • فهو بالضرورة يجمع ، ويوحد ، ويرفع الى أفق رفيع فسيح يؤاخى ، ويصهر ، ويبرز المؤمنين كل المؤمنين فى كينونة واحدة • والتوحيد الذى لا يحقق هذا حرى باعادة النظر فيه كما أن التجمع لا يكون موطد الأركان ، سامق الدعائم متبعا الا شد على أرضية من توحيد• وظنى أن هارون عليه السلام اعتبر الشكل ، ونظر الى وحدة الصف باعتبارها مظهرا من مظاهر التوحيد ، وأن موسى عليه السلام تجاوز الشكل الى الموضوع فارتاع حين مادت أرضية التوحيد وزلزلت زلزالها •

وليست العبرة أبدا بوحدة الشكل • فالله تعالى قد ذم قوما استوفوا جوانب المظهر وأفئدتهم جواء « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » الحشر •

كما عرض سبحانه بفرعة جسام راع مبناهم وضاع معناهم « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم

---

(١) أمره قوله اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين •

خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » المنافقون •

ان الاسلام يعنى بالمخبر ، ولكن لا يغفل المظهر المناح • فالتماسك الذى يشد المؤمن الى المؤمن يحكم صلابته أوثق عرا الايمان من موالاة فى الله ، وحب فى الله ، وبغض فى الله مصداق ما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

والمؤمن فى كنف أوثق العرا صحى النزعات ، طيب النفس ، وطيب النفس النعيم • ومقومات المسلم تلك ترتفع بالمسلمين الى مستوى القربى ، وتقتضى بالضرورة المودة فى القربى •

والمودة فى القربى تغذى الانفعال بالقربى ، وتفضى الى مزيد من التآلف والتدانى الى مزيد من قربى ومزيد من مودة يصورها الله تعالى فى صورة عائد تقر به عين رسول الله نفسه « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » •

والقربى هنا أعم مفهوما ، وأرحب أفقا • فهى تسع العشيرة الأقربين المعنيين بقول الله « وأنذر عشيرتك الأقربين » وتسع مفهوم كلمات « القربى » التى وردت فى القرآن مسبوقة بـ « ذى » أو « ذا » أو « ذوى » أو « أولو » أو « أولى » — أو غير مسبوقة ، وتسع مفهوم « الأرحام » التى حذر الله من تقطيعها ، ومفهوم « أولى الأرحام » الذين جعل الله بعضهم أولى ببعض ••• الخ •

ولا تزال الكلمة تتسع وتمتلىء حتى تنتظم المسلمين قاطبة ، فالاسلام رحم بين أهله ، والمؤمنون كلهم اخوة بمنطوق القرآن ، وصريح السنة ، وبروح الشريعة الغراء « انما المؤمنون اخوة » •

والمؤمن مطالب أن يدرج مشتملا بمعانى « القربى » حتى يرقى الى مقام الأخوة الحقة التى امتن الله بها على العباد « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا»

واذا كانت الأخوة نعمة حقيقة بالمن ، فان الانسلاخ عنها ، والتفريط فيها ، والهوى (بكسر الواو وتشديد الياء) من آفاقها كفر يستنزل سخط الله ، ويوجب الهوان والضيق مصداق قول الله :

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع ، والخوف بما كانوا يصنعون » النحل ١١٢ •

علل تنخر فى البنيان وتصدع الأركان

ان المؤمن كى ينعم بحلاوة التوحيد لا بد أن ينخرط فى جماعة ممتثلا لأمر الله « واعتصموا ••• » وكى تخفق ألوية الحق ، وينتشر شذى الدين ، ويرتفع سناه لا بد أن يتضافر مع جماعة ممتثلا لأمر الله « ولتكن منكم أمة ••• » •

وكى تطيب حياته ، وتزكو دنياه ، وتعلو أمته لا بد أن يتحرك ضمن جماعة ممتثلا لأمر الله « وتعاونوا » وكل عضو يتحتم عليه أن يصدق النية ، ويطهر الذيل ، ويستهدف الخير ، ويذب عن فيلقه حتى لا (١) يردى ، أو يقع طعمة للهوام ، نهبا للآفات ، عرضة للمزالق •

والغريب أنه رغم وضوح المعالم ، ونصاعة الهدى تختلط على الناس السبل ، ويضلون الطريق ، وتفترسهم علل تنخر نخر السوس فى الكيان • من هذه العلل :

(أ) تراث الطين والأنوية وعشق الذات

ورث الناس فيما ورثوا عفن الحمأ المسنون ، وضعة الماء المهين • ووجدوا يرشفون فى شهوات وأدواء كثيرا ما تثور فتعصف بالمقومات ، وتنسف معالم الطريق •

وفى حميا الثورة العارمة التى تغذيها الشهوات ، ويذكى أوارها الشيطان ، يفلت من خلال الأيدى الحبل الذى يصل بالله ، ويكفل

---

(١) يهلك .

العصمة ، ويضمن السلامة • وعندئذ يمسى صيدا سهلا للشيطان يحنكه بالهوى ، ويجرعه خمرته ، ويرسله ثملا متخبطا فاقد الوزن ، نهب الشهوات البينة ، والخفية التى يفجرها المنتمى والعنصر المتغير المسنون • واذا انفجر فى الانسان تراث الطين تكدر صفوه وتغير أمره ، واحلولك طريقه الى الخالق ، والخلق •

وانفعالا بتراث الطين استعظم الناس أن يعبدوا ما لا يرى • فرصدوا أجراما ، ونحتوا أصناما ، وقدسوا كائنات ، وألهوا مخلوقات، وعبدوا شهوات ، وسبحوا بحمد الدرهم والدينار ، وسكبوا من مشاعرهم المادية على مواقف تعبدية ، واختلقوا بدعا ، وعظموا صالحين •• الخ وعلى درب هذه الطبيعة ، وانفعالا بتراث الطين علت صيحات مستويات عليا « أرنى كيف تحيى الموتى » « أرنى أنظر اليك » وعلت صيحات مستويات وسطى « اجعل لنا انها كما لهم آلهة » « اجعل لنا ذات أنواط » وعلت صيحات مستويات دنيا « لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » « ياهامان ابن لى صرحا » « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » ••• الخ •

وانفعالا بتراث الطين استعظم الانسان أن يدب فلا يسمع دبيبه، أو يحضر فلا يرى مكانه ولا يحتل الصدارة ، أو يعبد فلا تعلم عبادته، أو يعمل فلا يقوم من الناس عمله ، أو يجد فلا يقوم على الأرض سعيه • كيف وهو من صلصال كالفخار ، ومعدنه الفخارى يصل صليلا يطلب الاشباع لغريزة حب الظهور الراسخة فى أعماقه ، ولعاطفة اعتبار الذات التى تقيمه وتقعده •

وانفعالا بتراث الطين جلجلت فى التاريخ كلمة « أنا » ودوت ملتهبة مارجة كالنار « أنا خير منه » « أنا أحيى وأميت » « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ••• » « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا»•

والاسلام اذ يندبنا الى درجة الاحسان « اعبد الله كأنك تراه ••• » انما يشبع نهم الغريزتين ويهدهد من حدتهما حتى

لا تستحيلا نارا ضارية • فالاسلام يرفض أن يكون المسلم دفين ماديته فهو كما علمنا ينتشله من أوحال المادية بالتوحيد ، ويكبح جماح غريزة الظهور وعشق الذات فيغلق دون المؤمنين كل دروب الرياء باعتباره شركا أصغر ، وشهوة خفية تنذر بالتمزق والمحق « ••• طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة ، ان استئذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع » حديث صحيح •

والرسول بهذا الحديث يربى المؤمنين على نكران الذات باعتباره وسيلة عمران ، وغاية اسلام • وفى طريق الحد من نزعة عشق الذات تقرأ فى الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى الله به) •

ان ثغرات الرياء منافذ الشيطان الى القلوب يدنسها ، ويوهيها ، والى الأعمال يحبطها • وهى مسارب الأدواء التى تورث العفن ، وتصيب بالتآكل •

ولقد تسلل الشيطان من خلال هذه الأدواء الى الصف ، ونفذ الى النفوس فأفقدها الاتزان ، ورفع فوق الرءوس المهتزة السكرى بيارق الأنانية ، والأثرة ، واللجاج • وطواهم فى أكفان الشهوات الخفية • وأمسك بخطامهم يدور بهم فى فراغ ، ويحشرهم فى متاهات ، ويغريهم كى يبتنوا مساجد ضرار ، ويعتلوا منابر ضرار ، وينشئوا روابط ضرار ، ويبتغوا مناصب ضرار ، ويصدروا صحائف ضرار ، وينشطوا أنشطة ضرار خوت من كل اخلاص ، وشرقت بالذاتية ، وفاضت بالشهوة الخفية ، وطفحت بكل خبائث الشرك الأصغر ، فلا غرو اذا انفصمت العرا ، وانحلت العلائق فلا اعتصام ولا انسجام ، ولا مودة ولا وئام •

بخارى أحمد عبده

باب السنة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

توقف النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على جنازة المدين

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن يؤتى (بضم الياء للبناء للمجهول) بالرجل الميت عليه الدين ، فيسأل : هل ترك لدينه قضاء ؟ فان حدث (بضم الحاء وتشديد الدال) أنه ترك وفاء صلى عليه ، والا قال : صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن توفى (على البناء للمجهول) وعليه دين فعلى (بتشديد الياء) قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته ، فصلى عليه . رواه مسلم .

وروى الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وأتى (بضم الهمزة على البناء للمجهول) برجل يصلى عليه . فقال : هل على صاحبكم دين ؟ قالوا نعم . قال : فما ينفعكم أن أصلى على رجل روحه مرتهنة . فلو ضمن رجل دينه قمت فصليت عليه . فان صلاتى تنفعه . فقال رجل من الأنصار يقال له أبو قتادة : يا رسول الله على (بتشديد الياء) دينه فصلى عليه .

المفـــردات

ترك لدينـــه قضـــاء = أى ترك مالا أو شيئا يسدد منه دينه ، ومعلوم أن الورثة لا يوزعـون تركة الميت حتى تسـدد ديونه لقـول الله تعالى (من بعـد وصية يوصى بهـا أو دين) .

فان حـدث أنه ترك وفاء = أى ان قيل له انه ترك ما يوفى سـداد دينـه .

فتـح الله عليه الفتـوح = نصره الله تعالى وأحل له الغنائم من الكفار فى الغزوات لقوله صـلى الله عليه وسلم (وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى) وقوله (جعـل رزقى تحت ظل رمحى) .

أنا أولى بالمـؤمنين = أحق بهـم .

روحه مرتهنة بدينـه = قيل ان روحه محبوسة فى قبره ، لا تصعد الى السماء حتى يسدد دينه .

أبو قتـادة = من الأنصار ، واسمه الحارث بن ربعى، ولكنه يكنى بهذه الكنية التى اشـتهر بها ، وهو فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد بدرا وما بعدها .

المعنى

طهارة الذمة أمر واجب فى الاسلام ، ولذلك لا يجوز توزيع تركة الميت على الورثة حتى يسدد ما عليه من ديون . قال تعالى فى وصية الميراث بسورة النساء (من بعد وصية يوصى بها أو دين) . والمؤمن الذى يخشى الله تعالى يعمل على تحرير نفسه من ربقة الدين (والدين هم بالليل ومذلة بالنهار) فيطهر نفسه قبل أن ينزل به الموت ، فقـد يأتى فجأة فى أى لحظة من ليل أو نهار .

والمدين اذا ملك سداد دينه وماطل فهو ظالم • لقوله صلى الله عليه وسلم (مطل الغنى ظلم) فاذا استدان وكانت نيته القضاء يسر الله له أمره حتى يقضى دينه • لقوله صلى الله عليه وسلم (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله) •

والاسلام يؤكد حقوق الغير ، فيحث على أن يموت المسلم طاهرا من هذه الحقوق ، والا جاء يوم القيامة مفلسا • لقوله صلى الله عليه وسلم (أتدرون من المفلس ؟) قالوا : المفلس من لا درهم له ولا متاع• فقال (المفلس هو الذى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد ضرب هذا ، وشتم هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ، ولهذا من حسناته حتى لا يبقى من حسناته شىء ، فيؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه ثم يطرح بها فى النار) •

ولما كانت الصلاة على الميت شفاعة ينتفع بها فقد امتنع النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على جنازة المدين • ويستوضح من أصحابه : هل عليه دين ؟ فان قيل له : نعم •• قال صلوا على صاحبكم • وان قيل : ليس عليه دين قام فصلى عليه ، لأنه لا دين عليه يمنعه من الصلاة عليه •

وقد اشتهر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالوفاء بعضهم لبعض ، ومن ذلك أن أبا قتادة رضى الله عنه كان يضمن سداد دين المدين لينتفع الميت بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، لأنها شفاعة تنجيه من العذاب ، وخاصة لأن روح المدين مرتهنة فى قبره بدينه لا تصعد الى السماء ، ولذا كفل أبو قتادة الدين الذى على الميت ليصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد جرى من على بن أبى طالب مثل ما فعل أبو قتادة رضى الله عنهما • فقد جىء بجنازة ليصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما علم أن عليه دينا مقداره ديناران كف عن الصلاة عليه • فقال

على رضى الله عنه : هما على يا رسول الله وهو برىء منهما • فتقدم الرسول عليه الصلاة والسلام وصلى عليه • ثم قال لعلى رضى الله عنه (جزاك الله خيرا • فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك • انه ما من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه • ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة) فقال بعضهم : يا رسول الله : هذا لعلى خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال (بل للمسلمين عامة) رواه الدار قطنى والطبرانى فى الكبير •

ما يستفاد من الحديث

١ ــ حث المسلم على أن يطهر نفسه من حقوق الغير قبل الموت، لأن الميت لا تبرأ ذمته الا بقضاء دينه •

٢ ــ فك رهان الميت المدين بالقضاء ، لأن أبا قتادة لما تعهد بوفاء الدين قال له عليه الصلاة والسلام (الآن بردت جلدته) كما رواه أحمد •

٣ ــ وفاء الصحابة بعضهم لبعض ولو بعد الموت ، جلبا للخير اليهم ، ودفعا للشر عنهم •

٤ ــ بعد نزول قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) تحمل النبى قضاء دين المدين وصلى عليه • ولذا قال (من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا فعلى) •

٥ ــ أشعر الحديث بذم الكنز كما جاء فى صحيح مسلم والترمذى (يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على الكفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى) •

٦ ــ ان مظالم العباد بعضهم لبعض لا يغفرها الله تعالى الا بعفو بعضهم عن بعض ، أو بالمقاصة (بتشديد الصاد) من الحسنات والسيئات •

والله تعالى أعلم •

محمد على عبد الرحيم

حول تحديد بداية شهر رمضان :

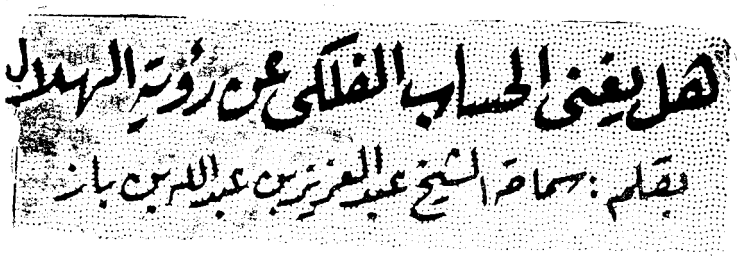

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، أما بعـد :

فقد كثر الكلام حول العمل بالحساب الفلكى فى دخول شـهر رمضان وخروجه وتحديد الأعياد فرأيت ايضاح الحكم وبيانه لعـامة الناس ليكونوا على بصيرة فى عبادتهم لربهم ، فأقول وبالله التوفيق :

ان الله سبحانه وتعالى علق بالهلال أحكاما كثيرة كالصوم والحج والأعياد والعدد والايلاء وغيرها لأن الهلال أمر مشهود مرئى بالأبصار• ومن أصح المعلومات ما شوهد بالأبصار • وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الحكم بالهلال معلقا على الرؤية وحـدها لأنها الأمر الطبيعى الظاهر الذى يستطيعه عامة الناس فلا يحصل لبس على أحد فى أمر دينه كما قال صلى الله عليه وسلم : « انا أمة أميـة لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين» وقال : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غـم عليكم فأكملوا المدة ثلاثين » ومن هذا يتبين أن المعول عليه فى اثبـات الصوم والفطر وسائر الشهور هو الرؤية أو اكمال العدة • ولا عبرة

شرعا بمجرد ولادة القمر فى اثبات الشهر القمرى بدءا وانتهاء باجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعا ، وهذا بالنسبة لتوقيت العبادات • ومن خالف فى ذلك من المعاصرين فمسبوق باجماع من قبله ، وقوله مردود لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • أما حساب سير الشمس والقمر فلا يعتبر فى هذا المقام لما يأتى :

(أ) أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالصوم لرؤية الهلال والافطار لها فى قوله : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وحصر ذلك فيها بقوله : « لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه » وأمر المسلمين اذا كان غيم ليلة الثلاثين أن يكملوا العدة ولم يأمر بالرجوع الى علماء النجوم ، ولو كان قولهم هو الأصل وحده أو أصلا آخر مع الرؤية فى اثبات الشهر لبين ذلك ، فلما لم ينقل ذلك بل نقل ما يخالفه دل ذلك على أنه لا اعتبار شرعا لما سوى الرؤية أو اكمال العدة ثلاثين فى اثبات الشهر وأن هذا شرع مستمر الى يوم القيامة ، وما كان ربك نسيا • ودعوى أن الرؤية فى الحديث يراد بها العلم أو غلبة الظن بوجود الهلال أو امكان رؤيته لا التعبد بنفس الرؤية مردودة لأن الرؤية فى الحديث متعدية الى مفعول واحد فكانت بصرية لا علمية ولأن الصحابة فهموا أنها رؤية بالعين ، وهم أعلم باللغة ومقاصد الشريعة من غيرهم •

وجرى العمل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهدهم على ذلك ، ولم يرجعوا الى علماء النجوم فى التوقيت ، ولا يصح أيضا أن يقال : ان النبى صلى الله عليه وسلم حين قال « فان غم عليكم فاقدروا له » أراد أمرنا بتقدير منازل القمر لنعلم بالحساب بدء الشهر ونهايته ، لأن هذه الرواية

فسرتها رواية « فاقدروا له ثلاثين » وما فى معناها . ومع ذلك فالذين يدعون الى توحيد أوائل الشهور يقولون بالاعتماد على حساب المنازل فى الصحو والغيم والحديث فيه القدر له بحالة الغيم .

(ب) ان تعليق اثبات الشهر القمرى بالرؤية يتفق مع مقاصد الشريعة السمحة لأن رؤية الهلال أمرها عام يتيسر لأكثر الناس من العامة والخاصة فى الصحارى والبنيان بخلاف ما لو علق الحكم بالحساب فانه يحصل به الحرج ويتنافى مع مقاصد الشريعة لأن أغلب الأمة لا يعرف الحساب ودعوى زوال وصف الأمية بعلم النجوم عن الأمة غير مسلمة ولو سلمت فذلك لا يغير حكم الله لأن التشريع عام للأمة فى جميع الأزمنة .

(ج) ان علماء الأمة فى صدر الاسلام قد أجمعوا على اعتبار الرؤية فى اثبات الشهور القمرية دون الحساب ، فلم يعرف أن أحدا منهم رجع اليه فى ذلك عند الغيم ونحوه ، أما عند الصحو فمن باب أولى .

(د) تقدير المدة التى يمكن معها رؤية الهلال بعد غروب الشمس لولا المانع من الأمور الاعتبارية الاجتهادية التى تختلف فيها أنظار أهل الحساب ، وكذا تقدير المانع فالاعتماد على ذلك فى توقيت العبادات لا يحقق الوحدة المنشودة ، ولهذا جاء الشرع باعتبار الرؤية فقط دون الحساب رحمة للأمة وحسما لمادة الاختلاف وردا لهم الى أمر يعرفونه جميعا أينما كانوا .

هذا وينبغى الانتباه الى أن اختلاف المطالع من المسائل التى حصل فيها الاختلاف بين أهل العلم • وقد درستها هيئة كبار العلماء فى احدى دوراتها السابقة واتخذت قرارا بالأكثرية مضمونه : أن الأرجح قول من قال ان لكل أهل بلد رؤيته وعليهم أن يرجعوا الى علمائهم فى ذلك عملا بما رواه مسلم فى صحيحه من حديث كريب عن ابن عباس ونصه: « عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية فى الشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته ، فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية • فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين أو نراه • فقلت أولا تكتفى برؤية معاوية ؟ فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وشك يحيى بن يحيى فى نكتفى أو تكتفى ١٠هـ » •

فأما قول من قال انه ينبغى أن يكون المعتبر رؤية هلال مكة خاصة فلا أصل له ولا دليل عليه ويلزم منه أن لا يجب الصوم على من ثبتت رؤية الهلال عندهم من سكان جهات أخرى اذا لم ير الهلال بمكة •

وختاما أسأل الله أن يمن على المسلمين بالفقه فى دينه والعمل بكتابه وسنة نبيه وأن يعيذهم من مضلات الفتن وأن يولى عليهم خيارهم انه سميع قريب • وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين •

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات

البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعـــد ..

نشرت بالأخبار يوم الجمعـــة الموافق ١٠/١٢/١٩٧٦ مقـــالا عن المقررات التعليمية بالمعاهد الثانوية الأزهرية ، عنونته بما يلى : «كلام لا يصدقه عقل يدرسونه فى الأزهر » وعرضت فيه بعض الأشياء المبثوثة فى الكتب المقررة على طلاب المعاهد الأزهرية ، والتى لا تعتمد على سند نقلى أو عقلى ، مما لا يصح معها بناء الدعاة واعدادهم لمواجهة الناس، وما من شك فى وجوب انتقاء المواد والروافد المكونة لثقافة الداعيـــة والمتصل بالدعوة ، لا سيما وهو ينتسب الى الأزهر • وطالبت المسئولين عن الأزهر الحفاظ على قيمة الأزهر وأصالته الفكرية الحضارية ، وتدعيم بنيانه الثقافى والحضارى فى مواجهـــة الغزو الفكـــرى الالحـــادى والتبشيرى ، وذلك بتغيير هذه المقررات المؤلفة فى عصور ضعف علمى قد ذهبت فى ذمة التاريخ ، بأخرى تؤلف خصيصا فى يومنا هـــذا ، والجامع الأزهر عامر بعلمائه وأساتذته فى كل فنون المعرفة ، أو انتقاء كتب مؤلفة فعلا بأقلام أعلام الأمة المحققين ، أو تنقية هذه المؤلفـــات وتطهيرها من الخرافة ، حتى نجد جيلا من الدعاة محصنا بسلاح الأثر الصحيح والمنطق العقلى الصريح • ولن يتأتى ذلك بتربية دعاة المستقبل على أمثال كتاب « شرح البيجورى على الجوهرة » الذى عددت فى مقالى بعض ما به من خرافة ، تسىء الى الاسلام وتهدم العقيدة ولا تلتقى مع العقل فى سبيل • ويكفى أن تعلم أن بعض حكايات الكتـــاب تدعى أن الأولياء يخرجون من قبورهم ويقضون حوائج الناس ، وأن

ابليس باض خمس بيضات فأنتج الجن ، وأن الخضر وابليس حضرا غسل النبى وغير ذلك من الأباطيل ، مما لا يليق وجوده بكتاب يدرسه الأزهريون تحت عنوان علم العقيدة أو التوحيد • ولخطورة المقال شكلت لجنة علمية من السادة أصحاب الفضيلة برئاسة الدكتور عبد المنعم النمر ، وقررت تنقية الكتاب من النقاط الصارخة فى خرافيتها، وخرج الكتاب بعدها فى جزء واحد متوسط ، بعد أن كان فى جزئين • وحمدت الله على ذلك ، وفهمت أن الكتاب خلا فعلا من كل الشوائب ، غير أننى اكتشفت مؤخرا أننى كنت واهما فى ذلك ، اذ ما زال الكتاب بحاجة ماسة الى المراجعة والتنقية والتهذيب ولا حول ولا قوة الا بالله••!

فمما يثير العجب والدهشة أن المؤلف مولع باقحام ابليس فى كل قضية ، فيحكى أنه ناقش فلانا وامتحن فلانا ، حتى الأنبياء وأولى العزم من الرسل ، تعلموا على أيدى ابليس لعنه الله •• !

ففى صفحة ٢٥٦ من الكتاب الذى أقرته اللجنة يقول البيجورى « ويروى أن ابليس قال لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام : خذ منى خمسا ، قال : لا أصدقك ، فأوحى الله اليه أن صدقه ، فقال : قل • فقال: اياك والكبر ، فانى انما وقعت فيما وقعت فيه بالكبر ، واياك والحسد فان قابيل قتل أخاه هابيل بالحسد ، واياك والطمع فان آدم ما أورثه الله تعالى ما أورثه الا بالطمع ، واياك والحرص فان حواء ما وقعت فيما وقعت فيه الا بالحرص ، واياك وطول الأمل فانهما ما وقعا فيما وقعا فيه الا بطول الأمل » مثل هذه القصص حينما توجد فى كتب الأسمار والروايات الشعبية ومجالس العوام ، ربما كان شيئا لا يقام له كبير وزن ، أما أن توجد بكتاب علمى ينتسب الى العقيدة الاسلامية يتخرج فيه الدعاة باسم الاسلام ، فذلك أمر لا يجب السكوت عليه ••! •

وفى صفحة ١٢٩ يقول : « ويحكى أن ابليس قبحه الله تمثل بين يدى الشافعى رضى الله عنه وقال : يا امام ، ما تقول فيمن خلقنى لما اختار ، واستعملنى فيما اختار ، وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار ، أعدل فى ذلك أم جار ؟ قال الامام : فنظرت فى مسألته فألهمنى الله تعالى أن قلت : يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فاضمحل ابليس وتلاشى • ثم قال : والله يا شافعى لقد أخرجت بمسألتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة •

فهذه الرواية قامت على الكذب أساسا ، اذ صح وثبت عن الشافعى قوله : من زعم أنه قد رأى الجن رددنا شهادته •• وغير معقول ولا مقبول أن يقول ذلك ويروى أنه ناظر الجن وشاهدهم ، وفيها ما فيها من تشويش على العقيدة الاسلامية اذ يقرر القرآن فى ابليس أنه لا يرى : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ومن جهة أخرى هدم لمسألة الايمان بالقدر ، فكيف غاب ذلك عن سادتنا الأجلاء سامحهم الله ••؟!

ـ وتجده فى صفحة ٩٤ يحكى حكاية أخرى ، يثبت بها حياة شخصية الخضر وبقاءه دون موت منذ عصر سيدنا موسى عليه السلام، وأنه سأل ابن الشجرى سؤالا فعجز عن اجابته ، فرأى النبى فى المنام الذى أخبره أن سائله هو الخضر وأجاب عن السؤال ، فحين أتاه السائل وأجابه قال له : صل على من علمك ومضى مسرعا ••

وهنا أعتقد أن دعاة المستقبل اذا واجهوا الناس بمثل هذه الأمور ، سيقعون فى حرج شديد ، اذ لا يعقل أبدا ولا يقبل مطلقا

أن يظل انسان طيلة هذه الدهور والحقب حيا ، ولكن كيف نقول يعقل، ولا نقول هل ورد فيه خبر فى كتب السنة الستة يمكن أن يعول عليه ..؟!

وفى صفحة ١٣٨ يقول البيجورى عن رؤية الحق تبارك وتعالى ما يعد من الطامات الجسام شرعا وعقلا ، اذ يذكر عن بعض المشايخ جواز رؤية المولى سبحانه وتعالى يقظة ، ويعلل ذلك ببعض المماحكات الباطلة والسفسطة المجافية للعقيدة وللقرآن والعقل ، ثم ينتقل الى رؤيته مناما فيقول بالحرف الواحد : (وأما رؤيته تعالى مناما فنقل عن القاضى عياض أنه لا نزاع فى وقوعها وصحتها فان الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذكر غيره الخلاف ، وقال بعضهم : ان الشيطان يتمثل به دون النبى ، والفرق أن النبى بشر فيلزم من التمثل به اللبس بخلاف المولى فأمره معلوم : وحكى أن الامام أحمد رأى المولى سبحانه وتعالى فى المنام تسعا وتسعين مرة وقال : وعزته لئن رأيته تمام المائة لأسألنه فرآه فقال : سيدى ومولاى ما أقرب ما يتقرب به المتقربون اليك ؟ قال تلاوة كلامى ، قال بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : يا أحمد : بفهم وبغير فهم) .

واننى أطالب المشايخ الأجلاء أصحاب الفضيلة الذين راجعوا الكتاب ، باسناد هذه الرواية الى الامام أحمد أولا ، ثم ايضاح نسبتها الى عقيدتنا الاسلامية الواضحة الأصول والسمات ، قبل الدخول فى تفصيل مضمون غايتها وأبعادها الفكرية .. ، والبحث عن اجابة لسؤال يعن للخاطر ، لماذا يخص المولى عز وجل الامام أحمد بن حنبل بالرؤية مناما دون صحابة الرسول الكرام والتابعين ومن تبع التابعين ؟!!

لست أدرى ماذا يحدث لو استبدل الأزهر بذلك الكتاب ، مؤلفا عصريا محققا للأئمة القدماء أيضا ، لكنه يخلو من متاهات الحكاوى

والرؤى والمنامات والخيالات ، التى تهدم ولا تبنى ، وتسىء ولا تحسن ، وليس هذا الكتاب وحده الذى يحتاج الى تنقيح وتنقية ومراجعة ، فان أغلب الكتب الأزهرية المقررة فى العلوم الشرعية لا تخلو من الشوائب التى لا تتناسب وعقول الشباب فى هذه السن ولا سيما فى هذه العصور •• وانظر مثلا الى حكاية واحدة فى كتاب « الاقناع فقه شافعى جزء أول » صفحة ١١٣ حيث يقول الخطيب الشربينى « فائدة — هذه الفضلات من النبى صلى الله عليه وسلم طاهرة كما جزم به البغوى وغيره وصححه القاضى وغيره وهو المعتمد ، خلافا لما فى الشرح الصغير ، والتحقيق أنها ليست من النجاسات ، لأن بركة الحبشية شربت بوله صلى الله عليه وسلم فقال : « لن تلج النار بطنك » •• !!

قولوا لنا بالله عليكم ، كيف تم هذا الأمر ، وكيف سمحتم به فى كتب العلم الأزهرى ، الذى يتخرج عليه الدعاة والوعاظ والعلماء ، وكيف نقنع به شبابنا بالمعاهد الأزهرية ؟ !

اننا نرجو أن تعود الثقة فى نفوس الشباب بالعلماء والدعاة ، ولن تعود هذه الثقة ، ومثل هذه الأقوال تشغل حيزا بالنسيج الفكرى لبعض الخطباء والوعاظ الى اليوم بحجة أنها مكتوبة فى كتب العلم الذى درسوه بالأزهر ، ان الجامع الأزهر أكبر وأعلى من أن تنال من شموخه وهيبته عصور مرت عليه وضعت فيها هذه المؤلفات •• فقد أفاد وشاد وربى وخرج وتزعم كثيرا من الدعوات الاصلاحية التجديدية ، وعلى علمائه وأبنائه اليوم أن يجددوا شبابه ويعيدوا اليه مجده ، والله ولى التوفيق ••

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

على عيد

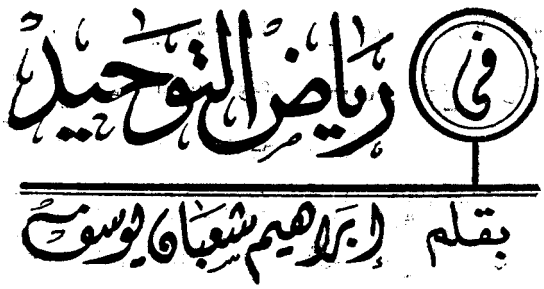

— ٨ —

عقيدتان لقومين

الأولى : عقيدة قوم يشركون بالله رب العالمين وقت الرخاء، ويجأرون اليه وحده فى الشدائد • وهذا سلوك مشركى العرب قبل الاسلام •

والثانية : عقيدة قوم يشركون بالله رب العالمين فى الرخاء ، ويشتد شركهم عند الشدائد • وهذا سلوك بعض مسلمى اليوم •

وبيان ذلك : أن الله يقص علينا عن مشركى الجاهلية الذين أرسل فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » ٣٢ لقمان • وفى موقف آخر يوضح القرآن الكريم منهجهم فيقول « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين• فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق » ٢٢ ، ٢٣ من سورة يونس •

هذا حالهم وقت الأنواء والعواصف : دعاء لله باخلاص وخوف، ورغبة أكيدة فى النجاة من الأزمة الطاحنة ، والمشكلة التى اصطلحت أنواؤها على سفينتهم ، فأوشكت على التردى فى المهاوى المهلكة • ويستجيب الله لدعائهم وينجيهم — وهو يعلم تماما مدى نكوصهم عن بالغ رجائهم — قطعا لحجتهم ، ودفعا لاحتجاجهم •

سبحان الله ! وقت الشدة يدعون الله الواحد الأحد ، الحى القيوم ، ذا الطول والمدد والغوث ، لعلمهم تماما بأنه القادر على انجائهم من الهلاك والدمار والغرق والبلوى •• مخلصين له الدين • ويدركون تماما بأن معبوداتهم لا تغنى عنهم فتيلا ، ولا تصلح للنداء، أو الرجاء ، أو حتى مجرد تذكر لحفظ ماء وجوههم عند العودة اليها وقت الرخاء ، فيقولون فى أزمتهم « لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » ومن أسف بعد الصحو ، ومحو الكربات يعودون لشركهم وعنادهم ودعائهم للأصنام والهياكل المضروبة عليها ، مع أن الله يذكرهم بأنه القادر على أن يخسف بهم جانب البر أو يرسل عليهم الحواصب ويأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا •

وانى لأعجب لهؤلاء : هل أمنوا عودتهم الى البحر مرة أخرى، فيرسل الله عليهم الريح قاصفا فيغرقهم جزاء كفرهم ؟ ومن يقرأ من سورة الاسراء يجد أن الله قال « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا • أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ؟ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » ٦٧ — ٦٩ أقول : هل أمنوا ذلك ، أم أن الرخاء ينسى الانسان شدته ؟ !! •

ويحكى أن رجلا كان بمكة ــ ويسمى المنذر ــ تطاول على الرسول ذات يوم • ولكن الرسول بحكمته سأله : كم الها تعبد ؟ فقال أعبد سبعة منهم ستة فى الأرض وواحد فى السماء • فسأله الرسول : ومن جعلته لرغبتك ورهبتك ؟ فقال : أعددت لذلك الذى فى السماء حيث أن ما فى الأرض لا يغنوا عنى شيئا • فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : دع من فى الأرض واعبد من فى السماء ، وسأعلمك كلمتين• فلم يسع المنذر الا أن أسلم فعلمه الرسول أن يقول : اللهم الهمنى رشدى ، وقنى شر نفسى • وهذا أيضا من دلائل الحق ، وجلال الصدق لقصص القرآن الكريم • ولعل ذلك حجة على من يدعى التنزيه جهلا بالله العلى الأعلى ، فيتبرم ممن يقول بأن الله سبحانه فى السماء• وهى دعوى ساقطة اذ أن الله جلت قدرته موصوف بالكمال المطلق، ومن كما له أن يكون متصفا بالعلو من جميع الوجوه ، علو الذات والقدر والقهر ، وليس كما تقول الجهمية المعاصرة •

ثم نعود لما كنا فيه • ولقد خرج خليل الله على قومه فوجدهم يعبدون تماثيل عكفوا عليها ، فسألهم « هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ » فلم يسعهم الا أن يحفظوا عقولهم من السفه، وقولهم من الدجل ، وألصقوا التبعية للآباء ، قالوا « وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ولم يستطيعوا أن يجيبوا بنعم يسمعون أو ينفعون ويضرون • وهى حجة الشرك فى كل زمان ، حيث يتعلق الآخرون بالجهلة من الأولين • « وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » وخلاصة هذه العقيدة : شرك فى الرخاء ، وتوحيد وقت الشدائد •

أما بعض المسلمين ــ عافانا الله واياهم وهدانا وهداهم ــ يدعون غير الله فى يسرهم ، ويتعلقون بأمواتهم عند النوازل والشدائد ، بل ويبكون حول الأضرحة ــ أذلة خاضعين ، شاكين ــ سائلين عودة الغائب ونجاح المقاصد ، وكسب القضايا ، وربح المتاجر ، والتصرف فى المظالم،

الى قولهم « العارف لا يعرف ، وجئتك فتصرف ، والشكوى لأهل البصيرة عيب ، وأنت يا قطب الأقطاب ، تعرف كل شيء ، ولست فى حاجة الى تفسير أو الكلام الكثير » •

وبعد انحناء الحديد من دلك الظهور وتقبيل الشفاه ، وملء الجيوب مما يختلسونه من بركات فى زعمهم ، ويمسحون به وجوههم، يدرون النذور ، ويخرجون من الضريح بظهورهم خوفا من غضبة صاحب القبر ، وحتى لا يردهم خائبين • مع أنهم لو فعلوا عشر معشار ما يفعلونه من ذل وعبودية أمام الموتى لربهم المالك لكل رجائهم لأعطاهم فوق ما يطلبون فهو سبحانه الذى كتب الرحمة على نفسه ، وان تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرا عظيما •

ولا تعجب فهناك من تعلق القوم بهم وصدق قولهم وحسبوه شيئا • فمثل الدباغ الذى دون فى الصحيفة التاسعة من الجزء الثانى لكتاب الابريز طبعة الحلبى « أنه لا يحدث شيء فى العوالم كلها علويها وسفليها وحتى ما فوق الحجب السبعين الا باذن أهل التصرف رضى الله عنهم » هكذا قيل • ولا أدرى كيف تم ذلك ــ كتابة وطباعة ورواجا ؟ ألم ينظروا فى كتاب الله سبحانه وهو يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقول له : قل ــ قل ــ قل ــ نعم ثلاث مرات متتابعة• فى سورة الجن •

قل انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا ــ ٢٠ •

قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ــ ٢١ •

قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ــ ٢٢ •

ألم يسمعوا مرة واحدة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأهله وخاصته : اشتروا أنفسكم من النار ، لا أغنى عنكم من الله شيئا يوم القيامة • يا عباس عم رسول الله : لا أغنى عنك شيئا من الله يوم القيامة • يا صفية عمة رسول الله : لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة • يا فاطمة بنت محمد : سليني من مالى ما شئت واعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة • لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم ، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه •

أخى القارىء : ومع هذه الأدلة الدامغة للباطل ، يأبى أصحاب العقول الجرز ، والقطر المنتكسة الا أن يختلقوا القصص الخارقة لموتاهم والصالحين ممن أفضوا الى ربهم ، زاعمين أنهم يخرجون لقضاء المصالح ورد الغائب وفك العانى والبحث عن الخبء فى الأوكار بل وتحت الماء •

ولا أدرى لماذا لم ينقذوا أسرى المسلمين من أيدى الأعداء ، وها هى المعارك قائمة بين المسلمين وغيرهم • فلماذا طال صبرهم فى هذه القضية ان كانوا فى زعم عابديهم فاعلين ؟ ولا داعى للمنظمات العالمية وجمعيات حقوق الانسان •

بل ولماذا غفلت الدول عن مثل هذا ولجأت الى انشاء الأجهزة المختلفة للبحث عن الجناة والهاربين من العدالة ؟ ولكنه الجهل الذى خيم على العقول ، فأصبحت أسرى الوهم والدجل ترسف فى قيود الخرافات •

والى لقاء آخر والله المستعان ••

ابراهيم شعبان يوسف

مشروعية زيارة القبور

بقلم : أحمد نصر

من حقيقة الايمان وعقيدة المسلم أن الدار الآخـــرة حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور • والناس جميعا راجعون الى ربهم بعد موتهم ليوفيهم أعمالهم ، ولتجزى كل نفس ما كسبت « انه يبدأ الخلق ثم يعيـــده ليجـــزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط • والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » ٤ يونس « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثـــم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ٢٨١ البقرة •

واذا كانت الآخرة حقا فان اغفالها من حياة وسلوك الانســـان ضلال وخسران مبين • والناس يعملون للدنيا بوحى غرائزهم • بل ان عملهم للدنيا يستولى على ألبابهم ، ويستغرق أوقاتهم • فالمنتظر من الدين والحالة هذه أن ينذر بالآخرة ، وأن يسوق من صـــور الوعـــد والوعيد ما يغزو القلوب بالرغبة والرهبة • وليس يفهم أبدا من الحديث عن الآخرة شل الأيدى التى تعمل للحياة وعمارة الدنيا والاصـــلاح فيها • ولكن الحق أوضحه الكتاب فقال « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٧٧ القصص • وآيات القـــرآن الكريم تلفت أنظار المؤمنين دائما الى هذه الحقيقة وتركز على الايمان بالآخرة لأنه يرقق القلوب ويفجر العواطف بالخير ويأخذ بنفس المؤمن الى طريق الحق والاستقامة • بل ويحفزها الى المسارعة الى مرضاة الله وجنة عرضها السموات والأرض • كما أن الكفر بالآخرة والغفلة

عنها ، أو الاستهانة بأمرها وعظم شأنها يولد القسوة والاعتداء واشباع الغرائز فى أودية الشهوات والركون الى متع الدنيا والانغماس فى لهوها وباطلها • وتتمكن هذه الغفلة حتى تودى بصاحبها الى الهلاك والخسران « بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة » ٥ ــ ٦ القيامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » ٣٠ آل عمران « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » ٧ ــ ٨ يونس • والانسان فى زحمة الحياة قد ينسى نهايتها بالموت ــ وهو حتم لا يرد ــ وفى غمرة العمل قد يغفل عن لقاء ربه والمثول بين يديه للحساب والجزاء ، وذكر الموت يخفف من بريق الدنيا ويقلل من اندفاع الناس فى طريق المادة ــ والمادة وحدها ــ حتى لا يكون الانسان عبدا لرغباته • ان ذكر الموت يرد الى النفس المؤمنة صوابها فتبتغى الدار الآخرة ، وتعيش حياتها فى مرضاة الله وهديه على صراط مستقيم « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » ٩ الزمر •

لهذا أرشد النبى صلى الله عليه وسلم الى مواطن العبرة التى تحرك القلوب الى خشية الله عز وجل ، وتشد المؤمنين الى ما وراء هذه الدنيا لترى الآخرة وكأنها تعيش فيها • انه صلى الله عليه وسلم يدعونا الى زيارة القبور ، لتذكر المصير • فقد روى مسلم والترمذى عن بريدة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة » وأمرنا بأعمال وسنن كثيرة من تشييع الجنائز والصلاة على الموتى والدعاء لهم والقيام على قبورهم ضراعة الى الله أن يثبتهم عند المسألة ويرحمهم

ويغفر لهم ويجعلهم من الناجين من عذاب وفتنة القبر • وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم أنه لا ينجى هناك وينور هذه القبور ويجعل منها روضة من رياض الجنة وأنيسا فى هذه الوحشة الا الايمان بالله والعمل الصالح وعفوه سبحانه أولا وآخرا • الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى•

والنهى الذى فى الحديث كان فى فجر الدعوة الاسلامية نهيا عاما والحكمة فى ذلك واضحة وهى تجريد التوحيد والايمان من كل خرافة ووثنية ، حتى لا يختلط الدين بالعادات والتقاليد البالية الجاهلة• وذلك أن منشأ الشرك وعبادة الموتى والأصنام وتقديسها كان من جهة القبور وتعظيم أصحابها • وكان أول ذلك فى قوم نوح عليه السلام• لما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيرا لقوله تعالى « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد • حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت •

وقد عادت هذه الجاهلية اليوم وفتن بها الكثيرون ممن ينتسب الى الاسلام • بل وتروج لها الصوفية الدخيلة ، وسكت بعض العلماء وأعمتهم حصيلة النذور وقرابين الأعياد الجاهلية فاتخذوا القبور مساجد والأضرحة معابد • والاسلام براء من هذه الشرك •

من أجل ذلك نهى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم فى صدر الاسلام عن زيارة القبور سدا لذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بجاهلية • ثم لما تمكن التوحيد ــ افراد الله بالعبودية واخلاص الدين كله له ــ فى القلوب أذن لهم فى زيارتها ، وعلمهم كيف يزورونها

بفعله وقوله • فقد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: « السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم • أنتم سلفنا ونحن بالأثر » كما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا « السلام عليكم يا أهل الديار من المسلمين والمؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون • أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية » وكان يزور قبور أصحابه للدعاء والاستغفار لهم والترحم عليهم • وهذا تشريع وقاعدة قرآنية «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان» ١٠ الحشر « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » الاسراء « ربنا اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ٤١ ابراهيم •

ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور أنها لا تهان بحيث توطأ ويجلس ويتكأ عليها • فقد روى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر » كما أنه يحرم تعظيمها واتخاذ المساجد عليها والصلاة فيها لما روى مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » أما دعاء الميت والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والطواف حول ضريحه والتمسح به وتقبيل أعتابه فهو اشراك وعبادة لغير الله • وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم • وقد روى أحمد وأبو داود والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وروى الشيخان عدة روايات يحذر فيها صلى الله عليه وسلم من صنيع المبطلين « أولئك قوم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد • ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » •

وخلاصة ذلك أن الاسلام لا يجمع بين مسجد وقبر • فالمساجد لله ولله وحده « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ١٨ الجن • ويخطىء من يلحق بزيارة القبور أضرحة الموتى وهذه المقاصير ، لأنها من النصب والأوثان ، وهى رجس من عمل الشيطان أمرنا الله باجتنابها نصا فى أكثر من آية « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ٩٠ المائدة• وقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور • حنفاء لله غير مشركين به » ٣٠ الحج • ولا وزن لرأى علماء البدعة ووثنية الصوفية البغيضة وواقع الأمر الجاهلى بتلك المساجد الشهيرة واستغلال بعض أسماء الصالحين من عباد الله وآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فهم يبرءون من هذه العبادة • « واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون • وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون » ٨٦ النحل • « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا • فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » ١٩ الفرقان •

وما جاء فى صدر الحديث عن النساء اذا اتخذن القبور ميدانا لشهواتهن وعاداتهن فيتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ويختلطن بالرجال ويتخذن الزينة فى مواطن الحزن والعبرة ويشتغلن بالزور والغيبة فى موضع الخشية •• كانت زيارتهن حراما حرمة شديدة • وعلى الأزواج وذوى الغيرة على الدين والعرض مقاومة هذا المنكر • فان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته • لقد قالت أمنا السيدة عائشة رضى الله عنها ذات يوم فى مسجد الرسول

صلى الله عليه وسلم « لو رأى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما صنعتن لمنعكن المساجد » فما بالك بما يصنعن حول القبور الآن من ضياع الفضيلة والندب والنياحة واهدار الأخلاق الكريمة وذهاب الحياء ؟ ان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم أباح زيارة القبور للرجال لعلتين واضحتين : تذكر الآخرة ، والاستغفار للميت • فهل يتحقق هذان الهدفان فى زيارة القبور ؟ نسأل الله الهداية والتوفيق وخاتمة الايمان •

أحمد طه نصر

طرف وملح

من كلام بعض الحكماء :

ثلاثة لا يستخف بهم : السلطان والعالم والصديق : فمن استخف بالسلطان ذهبت دنياه • ومن استخف بالعالم ذهب دينه • ومن استخف بالصديق ذهبت مودته •

من كلام ابن عباس رضى الله عنهما :

لجليسى على ثلاث : أن أرميه بطرفى اذا أقبل • وأن أوسع له اذا جلس • وأن أصغى اليه اذا حدث •

من حكم على بن أبى طالب رضى الله عنه :

أدب المرء خير من ذهبه • بلاء الانسان من اللسان • ثبات الملك بالعدل • ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا • خير الأصحاب من يدلك على الخير • ذكر الموت جلاء القلب • صلاة الليل بهاء النهار • من كثر كلامه كثر ملامه • مجلس العلم روضة من رياض الجنة •

جمعها : محمد على عبد الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » ٣١ الاعراف • ليس المراد — والله أعلم — بالاسراف فى الأكل والشرب هو انفاق المال الكثير فيهما فحسب ، بل الاعتدال فى تناول الطعام والشراب ، وهذا ما فهمه السلف من الآية حتى قال بعضهم : جمع الله الطب كله فى نصف آية « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » وهذا ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى رواه الترمذى حيث قال « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » •

ولعل آيتى الاسراء والفرقان اللتين تتحدثان عن النهى عن التبذير والاسراف فى الانفاق انما تشيران أيضا اضافة على نهيهما عن اضاعة المال فيما لا ينفع صاحبه أو المسلمين تشيران الى ما ينفع صحة الأبدان وهو عدم النهم والجشع والاحتفال الشديد بالأكل • ففى سورة الاسراء يقول الله تعالى « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » وفى سورة الفرقان يقول جلا جلاله « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » •

فالافراط والتفريط كلاهما مفسد وكلاهما ضار وكلاهما احيانا مهلك ، وقد روى فى الحديث « اياكم والبطنة فانها مفسدة للصحة

مضيعة للصلاة » كما روى ما جعلناه عنوانا لمقالنا ، وتمامه « المعدة بيت الداء ، والحمية الدواء » وما أصدق الشاعر الذى قال :

وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكلات دهر

وروى البيهقى فى (شعب الايمان) حديثا يقول « ان كثرة الطعام شؤم على صاحبه »وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا » • ومن المعلوم طبيا أن ملء البطن من الطعام ، والاسراف فى تناوله ، وكثرة ألوانه فى الوجبة الواحدة ، وادخال الطعام على الطعام •• من المعلوم أن كل ذلك ضار بالصحة أبلغ الضرر لما ينتج عنه من الأمراض الفتاكة كضغط الدم ومرض السكر والأملاح وغيرها من الأمراض التى أصبحت شائعة بين الناس فى جميع أرجاء العالم • وهنا نعيد مرة أخرى « اياكم والبطنة ••• » •

ان الاسلام يدعو الى الاعتدال فى كل شىء ، فلا غلو ولا تفريط، بل الوسط فى الأمور كلها « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط» والفضيلة ــ كما يقولون ــ وسط بين رذيلتين ، فلا اسراف وتبذير ، ولا امساك وتقتير ، وقد يضر الجوع كما يضر الشبع •• كما قال الشاعر « فرب مخمصة شر من التخم » •

ورسولنا الناصح الأمين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم حث أمته الى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وهو الاعتدال حتى فى العبادة ، فهو القائل « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » • ولو أن المسلمين اتبعوا نصائح رسول الله وارشاداته فى مجال التغذية لكانوا أقوى الناس أجسادا ، وأسلم الناس أبدانا ، وبالتالى أسلم الناس عقولا ، وأوفقهم تفكيرا ، وأسدهم تدبيرا •

ولو أنك استعرضت ما قام به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم ، لرأيت القوة لائحة فى كل أعمالهم ، فى عبادتهم وفى غزواتهم وفتوحاتهم ، فكانوا كما قيل (رهبان الليل فرسان النهـــار) وما ذلك الا لاتباعهم لرسولهم وطاعتهم لوعظه وارشاده فى كل شىء •

ولنستمع الى بعض توجيهاته وارشاداته فى الاعتدال والتوسط فى الطعام : قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى « ان المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » وروى أنه لمـــا أهدى اليه المقوقس ملك مصر جارية وطبيبا وبغلة ، قبل الجارية والبغلة ، وأعاد الطبيب قائلا « نحن قوم لا نأكل حتى نجـــوع ، واذا أكلنـــا لا نشبع » وكلاهما يفسد الصحة : اذا أكلت من غير جوع ولا حاجـــة الى طعام ، واذا شبعت وملأت البطن ، فمن توقى الأمرين فلا حاجة له الى طبيب • كما روى عنه ما معناه (قم عن الطعام وأنت تشتهيه)• ومن أجمع أحاديثه عليه الصلاة والسلام فى الاعتدال الحديث المتفق على صحته « طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة» وزاد مسلم فى روايته « وطعام الأربعة يكفى الثمانية » •

وفيما فرض الله من صوم رمضان ، وما سن رسول الله ورغب فيه من الصوم فى غير رمضان ، فى كل ذلك دعوة صريحة قوية بل وملزمة الى الاعتدال ، وصيانة الأبدان من الأمراض الفتاكة • وأخيرا وفى القرن الرابع عشر بعد الهجرة النبوية تنبعث دعوة فى المحافل العلمية العلاج بالصيام • ومن مقاصدهم بهذه الطريقة فى العلاج تخلية المعدة من الطعام لفترة معينة فتستريح جميع الأجهزة الداخلية فى الجســـم وخصوصا الجهاز الهضمى والجهاز التنفسى والجهاز العصبى • فاذا استجمت هذه الأجهزة واستراحت أمكنها أن تتغلب على الأمـــراض التى تصيبها والتى ما كانت تستطيعها وهى مجهدة بالتخمة • والى كل

ذلك يشير الحديث النبوى الذى رواه البيهقى فى (شعب الايمـان) قال : « المعدة حوض البدن ، والعروق اليها واردة ، فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم» .

وكما عنى الاسلام بالاعتـدال فى الطعـام والشراب بما يحفظ للانسان المسلم صحته وقوته ليكون جنديا قويا مجاهدا ومناضلا فى سبيل الله وناشرا لدينه فى مشارق الأرض ومغاربها ــ كما عنى الاسلام بذلك عنى أيضا بآداب تناول والطعام ، أو ما يسمونه الآن (آداب المـائدة) ، ففى الحديث الصحيح المتفق عليه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » واذا نظرت الى كل فقرة من فقرات هذا الحديث رأيت النور والحكمة بادية عليها : ففى التسمية اعتراف وحمد لله على نعمته ، على ما سخر من الأيدى حتى وصل اليك هذا الطعام ، فمن زارع الى ناقل الى طاحن وخابز حتى وصل اليك ، وربما من أقصى بلاد العالم ، هذا أولا ، وثانيا : دعاء وتفويض لله ليجعل هذه اللقيمات مفيدة مغذية ، فانك لا تدرى ما يصير اليه الطعام منذ أن تلقيه فى جوفك ، فالله وحده يجعل هذه الأجهـزة الهاضمة من المعدة الى الكبد والبنكرياس والأمعاء وغيرها تعمـل فى توافق واضطراد ، فانه اذا تعطل جهاز من تلك الأجهزة انقلب الطعام سـمـا .

أما الأكل باليمين فضمان للنظافة ، فان رسولنا عليه الصـلاة والسلام أمرنا أن نجعل اليمين للطعام والشراب ، وأن نجعل اليسرى لمهنة البدن . أما الأكل مما يلى ــ أى مما بين يديك دون مد اليد الى ما أمام غيرك ــ فللاحتراز من مضايقة الغير واشمئزازه وتقززه ، ولبذر بذور التآلف والتحاب بين الآكلين .

(البقية صفحة ٤٨)

أيها المسلمون .. فى كل مكان .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ... وبعد .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد .

والأمة الاسلامية أمة الهها واحد ورسولها واحد ودينها واحد « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . ولقد اشتكى من أمتنا المسلمة ــ فى زماننا هذا ــ أعضاء ولكن ألم الشكوى وأنينها لم يؤثرا فى جسد الأمة وراح بقية أفرادها يواصلون مسيرة الحياة غير عابئين بما وصلت اليه الأمة من تمزق وضياع .. لقد وقع كثير من المسلمين أسرى فى حبائل الشيطان وتثاقل كثير منهم الى الأرض ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا !! وما حدث ذلك الا بسبب بعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وأصبح القرآن بين المسلمين مهجورا بعد أن أعلنوا ايمانهم به !! هجره قوم فلم يقرءوه. وهجره آخرون فقرءوه ولم يفهموه . وهجره غيرهم ففهموه ولم

يطبقوه • فهذه أنواع ثلاثة تدخل تحت قوله تعالى « وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » •

ان الأخوة التى أشار اليها القرآن الكريم فى قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » لو قامت اليوم بين المسلمين لكان لهذه الأمة شأن آخر •• والمودة والرحمة الواجبة لو تحققت لتجافت جنوب المسلمين عن المضاجع لما يحدث فى أفغانستان المسلمة وفى غيرها من بلدان المسلمين من اضطهاد لأهل الايمان ••

ان أخوة الايمان والتقاء القلوب — وان تباعدت الأجساد — أمر لا يقوم به الا من أخلصوا دينهم لله واعتصموا به ••

ان المسلم الحق لا تنقطع عبوديته لربه بخروجه من المسجد ولكنه يعيش فى مراقبة دائمة لله قبل الصلاة وبعدها وفى أثنائها فاذا انتشر فى الأرض — بعدها — يبتغى الرزق فانه يتعامل مع اخوانه من خلال تعاليم الدين الحنيف ••

فهو يلقاهم بوجه طلق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « وتبسمك فى وجه أخيك لك صدقة » وهو يلقى السلام على من لقى من اخوانه متمثلا فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا • ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » •

وتحقيقا للاخوة فالمسلم ينصح اخوانه آمرا لهم بالمعروف وناهيا لهم عن المنكر •• وهو فى ذلك يغضب لدينه ويغار لانتهاك محارمه ولا يكون من أولئك الذين اذا أساء أحد لشخصهم فبئس ما صنع وان أساء لدينهم فلا شأن لهم به ! •

فاذا باع المسلم أو اشترى كان سمحا فى بيعه وشرائه يتجنب فيهما الحلف لأنه يمحق البركة ويبين ما فى سلعته من عيوب حتى لا يتكسب من حرام وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرىء مسلم يبيع سلعة يعلم أن بها داء الا أخبر به » رواه البخارى •

وقد وقع كثير من المسلمين فى هذه المعصية فباعوا لاخوانهم وأخفوا عنهم معايب سلعهم فأكلوا من حرام فما استجاب الله لهم دعاء وحل بهم منه نقمة وبلاء فانا لله وانا اليه راجعون ••

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث جامع جملة من الخصال الكريمة التى تجمع القلوب المؤمنة على المودة والرحمة وتزيل ما يعلق بها من وحشة وتنافر •• يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة • وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة • وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة • وأماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة • وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة • وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة » رواه البخارى •

ولو أن المسلمين طبقوا هذا الحديث لاستقامت لهم الحياة ولأكلوا من حلال طيب وحلت بهم بركات السماء وفازوا بخيرى الدنيا والآخرة••

نسأل الله أن يجمع قلوب الأمة الاسلامية على طاعته وأن يهدى المؤمنين سواء السبيل انه على ما يشاء قدير •

صفوت الشوادفى

تعقيب على مقال

بقلم : علي سنا

الحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

اطلعت على ما كتبه الأستاذ ابراهيم شعبان يوسف فى مجلة التوحيد بعدد ربيع الأول ١٤٠٢ تحت عنوان (فى رياض التوحيد) بقوله : بشارة الدارين . ثم ذكر البشارتين بأدلتهما ، ولا شك فى ذلك عند كل مسلم مستسلم لله تعالى قلبا وقالبا علما وعقيدة وعملا، لأنه مؤمن بما قاله الله سبحانه وتعالى وبينه النبى صلى الله عليه وسلم أحسن بيان . ثم ذكر بعد ذلك فقرات تحت عنوان (كرامات أربت على التعداد) وهى بالحقيقة خزعبلات وخرافات لا تدخل العقل المميز للحق والباطل بخلاف العقل الضال الذى يؤمن بالوهميات . ثم ذكر فقرات تحت عنوان (نقاش مع الكرامات) فذكر ذلك بأسلوب سهل يفهمه كل عاقل ، وضرب لذلك الأمثلة التى تبين ضلال أصحابها ومن يعتقدها بعدهم من الجهلة أو المتجاهلين لدين الله القويم ، والا فكيف يصدقون ذلك وهم أصحاب الدرجات العلمية الرفيعة .

وعلى كل حال فقد أبان الأستاذ وجزاه الله خير الجزاء ، وأوضح ذلك لكل من يريد أن يعرف طرق الصوفية حق المعرفة ، وأنها كلها وهميات لا حقيقة لها ولا أصل لها عند المؤمن المتبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأقول تعقيبا على ذلك انى قد حضرت مرة عند أحد السادة أو المدعين السيادة لأنفسهم ، فاذا هو غير موجود فى محله الذى يجلس

فيه ، واذا بالدراويش منتظرون للسيد ، ولما حان وقت الظهر وأذن المؤذن لم يخرج الى المسجد — والمسجد بجانب البيت — وتأخر الامام حتى ذهب من الوقت كثير حسب العادة المتبعة عندهم ، وأخيرا أقيمت الصلاة فصلى أحد الحاضرين بالناس اماما وهو خائف لعدم خروج السيد للصلاة ، ولما انتهت الصلاة رجع الدراويش الى محل الطعام، فاذا بالطعام يقدم ولكن السيد لم يحضر فانتظر الناس حضوره ، ولما حضر قام كل الحاضرين ، فمن مقبل لركبته أو يده بخضوع وتذلل وانكسار وانحناء ظهر • وبعد أكل الطعام قام كل منهم وذهبوا الى المجلس • ولما تكامل الحاضرون فى الجلوس حضر السيد وجلس على فراش له خاصة واتكأ على الوسادة ونام ، والناس فى خوف ووجل لا يرفع أحد صوته خوفا من أن ينتبه السيد ، حتى حان وقت العصر فلم يؤذن المؤذن لئلا يقطع نوم السيد حيث أنهم يزعمون أنه ذهب الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليصلى بالناس هناك ، فصلينا العصر وجلسنا لا يتكلم منا أحد حتى حان وقت المغرب ، ولم يؤذن لها ، فصلى الناس ثم عكفوا على قبر فى وسط المسجد عليه شباك مزخرف ومسبحة بعدد ألف حبة ، والحبة الواحدة مثل حبة العنب الكبيرة ، فجلس الناس حول القبر ، وكل واحد يجر حبة واحدة ويقول « لا اله الا الله محمد رسول الله » وهكذا حتى انتهت حبات المسبحة الألف ، وذلك بهدوء وبدون رفع صوت خوفا من أن ينتبه السيد النائم ، لأنه لم يعد من رحلته النومية • وهكذا حتى حضر وقت العشاء وانتهى الناس من الأوراد المكتوبة عليهم من سيدهم ولم يصلوا لأنهم منتظرون لحضور السيد حسب العادة فانهم لا يصلون العشاء حتى يحضر • ولكنه فى ذلك اليوم وتلك الليلة لم يحضر ، ويزعمون أنه تأخر لقضاء حوائج الناس ولأنه لا يمكن أن يعود حتى يقضيها لهم •

وبعد مضى أكثر من ثلث الليل جاء أحد الدراويش وقال ان السيد قد انتبه ورجع من رحلته ولكنه متعب لا يستطيع الحضور للصلاة ،

وقد صعد الى أعلى مكان فى بيته فصلى الناس بعد أن نام بعضهم بل أكثرهم وخصوصا أهل القرية فانهم ذهبوا الى بيوتهم بدون صلاة لأنهم لا يصلون الا باذن من السيد وبعد رجوعه يوميا هكذا والله المستعان .

فلم يصل السيد العصر ولا المغرب ولا العشاء وأنا أنظر اليه وهو نائم وهم يقولون ليس بنائم وانما هو غارق فى بحر القدرة ليصلى بالناس فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ويقضى حاجة الناس ، وما كنت أعرف أنه سقط عنه التكليف كما أوضح الأستاذ الكاتب فى مقاله ، وهكذا عندما تعلمت وفهمت من كلام سيدهم ابن عربى حيث يقول :

الرب عبد والعبد رب ... يا ليت شعرى من المكلف

ان كان عبد فذاك رب ... وان كان رب أنى يكلف

علمت حقيقة ما ذكره الأستاذ عنهم بأنهم يقولون ان شيخهم قد وصل . فالى أين وصل ؟ هل وصل الى الحضرة الالهية كما يقولون وسقطت عنه جميع التكاليف أو الى أين وصل . وقد قال لهم الأستاذ فى مقاله : أظن أنكم معى فى أن شيخكم تارك للصلاة ويخدعكم بهذا ! ثم بين لهم مصير تارك الصلاة .

فانظر يا أخى المسلم الى هؤلاء المخدوعين الذين لبس عليهم الشيطان وصرفهم عن طاعة الله . وهذا الذى ذكره الأستاذ فى مقاله (فى رياض التوحيد) وما ذكرته بعده قليل من كثير .

ولو قرأت كتبهم لرأيت العجب العجاب حيث أنهم ضلوا عن الطريق المستقيم وأضلوا كثيرا عن سواء السبيل وانا لله وانا اليه راجعون .

على سنان

المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

بقية مقال (المعدة بيت الداء)

ومن آداب الطعام فى الاسلام ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام فى الصحيحين : « ما عاب النبى طعاما قط ، ان اشتهاه أكله ، وان كرهه تركه » لما يكون فى ذلك من الحزن والكآبة على صانع الطعام ، والأمر أشق لو أن صانعته زوجة •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بغسل اليد قبل الأكل وبعده ، وكان يأمر بالتسمية فى أوله والحمد فى آخره فيقول « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وكان ينهى عن الجلسة غير الصحية عند الأكل ، فلا يأكل متكئا ولا مضطجعا •

واذا استعرضنا أفعال الرسول وأقواله وأحواله فى الأكل وجدت أنه عليه الصلاة والسلام انما يريد أن يكون المسلم فى أكله ذاكرا لله ، ولا يكون كما يأكل الأنعام والكفار ، وبذلك يكون عابدا لله حتى فى متعه ، فينال من الله الرضا والتوفيق والسداد • والله نسأل أن يوفقنا لرضاه •

سليمان رشاد محمد